مجلة سيميائيات
ISSN: 1112-7015
EISSN: 2602-5973
المجلد: 19 العدد:02/ سبتمبر2024
ص: 211 - 218

فاعلية العامل الديني في الدرس اللغوي العربي التراثي

The effectiveness of the religious factor in the traditional Arabic language lesson

د. حمزة درامسي *[1]،
[1] جامعة غليزان، (الجزائر)، hamza.dramssi@cu-reliazane.dz
مخبر اللغة والتواصل جامعة غليزان

تاريخ الإرسال: 2024/06/03	تاريخ القبول:2024/09/14	تاريخ النشر: 2024/09/30

****

ملخص:

إنمازت اللغة العربية قبل البعثة المحمدية ونزول القرآن الكريم فكان العربي فصيحا قُحا لا تلوك لسانه شائبة، وبعد مجيء الإسلام ودخول غير العرب فيه اختلطت الألسنة، وتداخلت مع العربية ممّا أدى إلى ظهور اللّحن والزّلل في الألسنة خاصة في قراءة الذكر الحكيم، الأمر الذي دفع بالقراء واللغويين إلى تدارك هذا الخطر قبل استفحاله، دفعهم ذلك إلى محاولة وضع قواعد وقوانين صوتية صرفية نحوية تضبط الألسنة وتقوّمها، وتحد من تفشي ظاهرة اللحن الذي أصبح يهدد الدّين واللغة العربية، فكان للعامل الدين تأثير جلي على فكر اللغويين، لذا سأحاول في هذا المضمار التطرق إلى فاعلية العامل الديني في الفكر اللغوي عند القدماء.

الكلمات المفتاحية:

الدرس اللغوي ; العامل الديني ; اللحن ; النحو ; البلاغة.

***ABSTRACT* :**

The Arabic language excelled before the Muhammadan mission and the revelation of the Noble Qur'an, so the Arab was eloquent and insolent, his tongue did not falter, and after the advent of Islam and the entry of non-Arabs into it, the tongues mixed and overlapped with the Arabic, which led to the emergence of melody and slippage in the tongues, especially in the reading of the wise Quran, which prompted readers and linguists To remedy this danger before it escalated, this prompted them to try to establish rules and morphological grammatical laws that control and correct tongues, and limit the spread of the phenomenon of melody that has become a threat to religion and the Arabic language. The religious factor in the linguistic thought of the ancients.

***Keywords*:**

language lesson ; religious factor ; melody ; grammar ; rhetoric.

* د. حمزة درامسي

فاعلية العامل الديني في الدرس اللغوي العربي التراثي

1. مقدمة :

يُعَدُّ القرآن الكريم دستورا ربانيا دليل العبادات، والمعاملات وآداب السلوك وعلاقات الجماعات والأفراد، وهو إلى جانب ذلك نص مُحكم بكامل تفاصيله بدءً بمخارج حروفه إلى علامات إعرابه وألفاظه وجمله وتراكيبه، وهو معجز بلفظه ومعناه، وقد شرّف الله تعالى به اللغة العربية وحفظها بحفظه إيّاه في قوله تعالى: {نَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} سورة الحجر: الآية 9، فارتفعت مكانة اللغة العربية وسطع نجمها بنزول القرآن الكريم بها.

وقد تنبّه أهل البصر من العلماء إلى فسادها وضياع سلامتها بدخول غير العرب إلى الإسلام، وإتساع الفتوحات الإسلامية فإنتشرت اللغة العربية بانتشار الإسلام الواسع، لأنها لغته التي نزل بها بعدما كانت محصورة في شبه الجزيرة العربية، وهو ما أدي إلى ظهور اللّحن والزلل في قراءة القرآن الكريم والحديث الشريف.

1 . 1 . إشكالية الدراسة: تتمحور إشكالية هذه الورقة البحثية حول مدى تأثير العامل الدّيني في نشوء الدّرس اللغوي العربي التراثي، وفاعلية هذا العامل في فكر علمائنا العرب القدامى من نحويين وبلاغيين وغيرهم، لذا حاولت في هذه الدّراسة الإجابة عن التّساؤل الآتي:

ما مدى فاعلية العامل الديني في الفكر اللغوي العربي من صوت، ونحو، وبلاغة؟

2.1. هدف الدّراسة: تكتسي مثل هذه الدّراسة أهمية بالغة لكونها مرتبطة بالقرآن الكريم، ولتأثيره القوي في مستويات الدّرس اللغوي العربي من صوت، ونحو، وبلاغة، فكان العامل الدّيني سببا رئيسا في تأسيس هذه العلوم والتقعيد لها حفاظا على سلامة القراءات القرآنية من اللحن، وبالتالي المحافظة على معانيه التي جاء بها، ولأنه لا يتأتى الفهم السّليم والقراءة الصحيحة لأحكام التّنزيل إلّا بالتّمكن من اللغة العربية وعلومها.

3.1 . استدعت هذه الدّراسة المنهج التاريخي لما في هذه الورقة البحثية من تتبع لما قام به علماء العربية القدماء إبّان تأسيسهم للدّرس اللغوي العربي، وكذلك المنهج الوصفي من خلال وصف منجزاتهم في الدّرس اللغوي، وتحليلها.

وجاءت خطّة الدّراسة كالآتي:

1 . مقدّمة.

2 . فشو اللحن في القراءات.

3 . أثر العامل الديني في الدرس اللغوي العربي (الصوت، النحو، البلاغة).

4 . خاتمة.

2. فُشُوُّ اللّحن في القراءات:

من مظاهر اللّحن التي ظهرت نذكر منها ما وقع في زمن **سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام** أن رجلا لحن بحضرته

فقال **صلى الله عليه وسلم** {أرشدوا أخاكم فقد ضل} [1]. فقد عرف اللّحن منذ زمن **الرسول صلى الله عليه وسلم**، فقد روى **السيوطي** عن **سيدنا رسول الله أنه قال:** { أنا من قريش ونشأت في بني سعد فأنّى لي اللّحن } [2]، فكان **صلى الله عليه وسلم** أشد إنكارا للّحن لخطورته، وكذلك كان صحابته الكرام رضوان الله عليهم، فهذا **سيدنا أبو بكر** يقول :{ لأن أقرأ فأسقط أحبّ إلي من أن أقرأ فألحن }[3].

وأخذ اللّحن يفشو وينتشر انتشار النار في الهشيم، ومن ذلك أيضا ما روي عن **سيدنا عمر بن الخطاب** رضي الله عنه أنه مرّ يسيئون الرّمي فقرّعهم فقالوا إنّا قوم متعلّمين فغضب منهم غضبا شديدا وقال لهم:{ واللّه لخَطؤكم في لسانكم أشد علي من خطئكم في رميكم}، فكان وقع اللحن عليه أشد في نفسه من أثر سوء الرماية، كما ورد عن **سيدنا عمر** كتاب أوّه [من أبو موسى الأشعري] فكتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى يأمره بضرب كاتبه سوطا [4].

تسرب اللحن إلى قراء القران وكثرت الأخطاء فقد قدم أعرابي المدينة، وقال من يُقرئني شيئا ممّا أُنزل على محمد فأقرأه أحد قول الله تعالى:{ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ } بكسر اللام من رسوله فقال الأعرابي إن كان الله قد بريء من رسوله، فانا أيضا أبرا منه والأصح قراءتها بضم اللام وسمع عمر رضي الله عنه، بالواقعة فدعا الأعرابي إليه مبينا له الصّواب وأمر **سيدنا عمر** على إثر هذه الواقعة، ألّا يقرئ القرآن بعدها إلّا عالم باللغة وأحوالها وعليه تنسب المقولة المشهورة تعلّموا العربية فإنّها تُثبت العقل وتزيد في المروءة [5].

كما وجد **عمر رضي الله عنه** رجلين يرميان فقال أحدهما للآخر أسبت فوبّخه سيدنا عمر وأمره بأن يقيم أمر لسانه قبل إقامة رميه، فقد أبدل الرجل الصاد سينا وكان عندهم سوء الرّمي أهون وأقل ضررا من اللّحن، وهذا ما دفعهم إلى الاعتناء باللغة العربية بُغية الحفاظ على القرآن الكريم والحديث الشريف، وذلك بوضع سياج يحفظها ويصون قواعدها فنشأت الدّراسات اللّغوية، وترعرعت في ظل القرآن الكريم في مُختلف مستوياتها الصوتية الصرفية النحوية والبلاغية.

3. أثر العامل الديني في الدّرس اللّغوي العربي:

1.3 فاعلية العامل الدّيني في تأسيس الدّرس الصّوتي العربي:

كانت بوادر الدّرس الصوتي العربي مع **أبي الأسود الدؤلي** من خلال ضبطه لإعراب القرآن بالنقط بملاحظة حركة الشفتين، فتمكن **أبو الأسود** من معرفة نوعية الصوت ووصفه، وهو ما يُعرف عند المحدثين بالصّائت من خلال معرفة نوع الحركة وميزتها، وهذا عمل صوتي محض لأنّه يبرز الصوائت القصيرة أو الحركات التي تلحق الصوامت والدافع إلى هذه المبادرة هو الحفاظ على سلامة القرآن.

كذلك من بدايات الدّرس الصّوتي ما قام به **نصر بن عاصم {89 هـ}**، و **يحيى بن يعمر {129 هـ}**، اللذان عجما حروف المصحف ونقطا جميع حروفه المتشابهة وهو ما رفع اللبس في قراءة القرآن، وهذا من منطلق سلامة القراءات وإبعاد شائبة اللحن عنها وتسهيل تعلمه لغير العرب، فميزوا بين الحروف المعجمة والحروف المهملة [6]، فضيقوا بهذا الإنجاز دائرة اللحن

وقللوا منه ويظل الدافع هو الدين فقد كان معظم هؤلاء من القرّاء، فكانت للقراءات الأثر البالغ في الدراسات الصوتية، لأن كل المبادرات التي كانت في مجال الصّوت جاءت نتيجة اللحن في القراءات باعتبار هذه الأخيرة ليست إلّا وجوه أداء وتنوع في الصّوت، تعود في أصلها إلى ما كانت عليه العرب قديما، وهي أيضا من وجوه الأداء الشفهي للقرآن تقوم على أساس النطق المجرد والسّماع الدّقيق فكان لزاما على المسلمين ترتيل القرآن الكريم امتثالا لقوله تعالى :﴿أَو زِد عَلَيهِ وَرَتِّلِ ٱلقُرءَانَ تَرتِيلًا﴾[سورة المزمل. الآية 4] .

وهذا ما أوجب عليهم إتقان النطق الصحيح لحروفه مفردة ومركبة حفاظا على القراءة الصحيحة، فتم من هذا المنطلق وضع ضوابط وقوانين صوتية لنطقه فأُعطي كل حرف حقه ومستحقه من المخرج والصفة التي قام بموجبها علم التجويد والقراءات، فوصفت مخارج الخروف وحددت صفات كل حرف وعُرفت أنواعها من جهر وهمس وشدة ورخاوة وتوسط وانفتاح واستعلاء وإطباق ... الخ(7)، وهذا التحديد والضبط هو عماد الدرس الصوتي العربي الذي كان سببه إجادة قراءة القرآن بحفظ لفظه ومعناه، ومن هنا نستشف أن منطلق الدراسات الصوتية هو الدين بلا منازع لإرتباط القراءات القرآنية بالصوتيات فمن رغب بإتقان القراءات وإجادتها وجب عليه العلم بأحوال الأصوات العربية من مخارج وصفات أساسية وثانوية وغير ذلك فكان معظم علماء الأصوات القدامى من قرّاء الذكر الحكيم.

ومن هذا المنطلق اِهتم العلماء العرب بمخارج الحروف وصفاتها، وفي مقدمتهم **الخليل بن أحمد الفراهيدي** الذي أولى هذا الجانب اِهتماما كبيرا في مؤلفه (العين) فرتب فيه الأصوات ترتيبا حسب نطقها، فبدأ بأعمقها نطقا ثم الأقرب فالأقرب من الحلق وصولا إلى الشفتين [8]، ثم جاء بعده تلميذه سيبويه الذي عُني بمخارج الحروف وصفاتها واِهتم ببعض الظواهر الصوتية، إلى أن بلغ الدرس الصوتي أوجّه مع اِبن جني الذي فصّل الدرس الصّوتي العربي تفصيلا كما لم يسبقه إليه أحد قبله. فتجلّت المباحث الصوتية والمسائل معه، وكان دافعهم إلى هذه الدراسات والإنجازات الصوتية هو الدين حفاظا على سلامة القراءات وتفاديا للّحن وتسهيل نطق القران وقراءته للناطقين بغير العربية ممن دخل في الإسلام.

كما نجد في القرآن الكريم الكثير من الظواهر الصوتية، كالإدغام والقلب والإظهار والقلقلة والإبدال والحذف وهو ما دفع علماء الأصوات العرب إلى دراستها والبحث فيها فظاهرة الإدغام مثلا ظاهرة لغوية واقعة في كلام العرب، نجدها في القراءات بكثرة والذي قال فيه **أبو عمرو بن العلاء** [الإدغام كلام العرب الذي يجري على ألسنتها] [9]، وهو عند القرّاء إدخال حرف في حرف آخر متصلين فيصيران بتداخلهما حرفا واحدا مشددا وهو من أحكام القراءات القرآنية، فمن أخل به فقد أخل بالقراءة السليمة، وهذا ما دفع علماء الأصوات إلى التفصيل فيه وفي مثله من الظواهر الصوتية التي تتصل بالقراءات تسهيلا للقراءة وحفاظا على معاني القرآن بحفظ ألفاظه.

2.3 أثر العامل لديني في وضع قواعد النحو (التركيب والتصريف):

كان اللّحن دافعا قويا لوضع قواعد النحو العربي وأسسه التي تحفظ سلامة القران واللغة فقد كثر اللحن بكثرة الداخلين في الإسلام، ومن أمثلة اللحن التي دفعتهم إلى وضع قوانين نحوية تحفظ ألسنتهم من الزيغ والخطأ أن أعرابيا دخل السوق فوجدهم يلحنون فقال سبحان الله يلحنون ويربحون ونحن لا نلحن ولا نربح، وروى **الجاحظ** أن أوّل لحن سُمع بالبادية:

هذه عصاتي والأصح هذه عصاي وأول لحن سُمع بالعراق حيٍ على الفلاح بكسر الياء بدل فتحها، ثم شاع في بني أمية حتى طال بُلغاءَهم من الخلفاء والأمراء كعبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف الثقفي[10].

فأصبح اللحن خطرا يهدد اللغة العربية والقرآن الكريم، وهو ما دفعهم إلى وضع ما يحد إنتشاره ويمنعه فأمر سيدنا **علي رضي الله عنه أبا الأسود** بوضع ما يدفع هذا الخطر عن الناس وألقى إليه صحيفة مكتوب فيها :(الكلام كلّه إسم وفعل وحرف)، فالاسم ما أنبأ عن المسمى والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى والحرف ما أنبأ عن معنى ليس بإسم ولا فعل، ثم قال له إعلم أن الأسماء ثلاثة ظاهر ومضمر وشيء ليس بظاهر ولا مضمر وإنما تفاضل العلماء في معرفة ما ليس بظاهر ولا مضمر[11].

فكانت هذه أصول النحو الأولى التي إنطلق منها الدرس النحوي العربي بدافع حفظ كتاب الله، كما جمع **أبو الأسود** وعرضه عليه وكان مما جمعه حروف النصب إن وأن ولعل وليت وكأن ناسيا لكن فقال له علي رضي الله عنه لم تركتها؟ فقال **الدؤلي**: لم احسبها منها، فقال علي رضي الله عنه: بل هي منها فزدها إليها [12]، فكانت هذه البدايات اللبنة الولى لوضع النحو العربي من منطلق ديني محض الذي كان من وضع أبي الأسود بأمر من علي رضي الله عنه لما رآه من فساد ألسنة العرب لمغالطتهم لغير العرب فألقى إلى **أبي الأسود** من أصول النحو ما أسلفنا ذكره وقال له أُنح هذا النحو فسُمي هذا الفن بهذا الاسم، وفي بعض الرّوايات أنّه وضع أبواب التّعجب والفاعل والمفعول وغير ذلك[13]، فإرتسمت بذلك معالم النحو الأولى بغية تقويم اللسان العربي والحفاظ على سلامة اللغة من الدخيل الذي وهو ما يحفظ القرآن من اللحن والزلل في قراءته فيضمن سلامة لفظه الذي به يستقيم معناه.

كان أوائل النحاة العرب اغلبهم من القرّاء والفقهاء، منهم **نصر بن عاصم الليثي {ت 89ه}** الذي كان تابعيا من القرّاء الثقاة عالما بالقراءات والنحو فأخذ القراءة عن شيخه الدّؤلي وعن **عمر بن الخطاب ومالك بن الحُوَيْرث** وعنه أخذ **قتادة وأبو سلمة و أبو عمرو بن العلاء** وغيرهم[14]، فدفعهم علمهم بالقراءات وخوفهم عليها إلى وضع ما يضبطها ويضمن سلامتها فكان **ابن عاصم** من أوائل النحاة الذين وضعوا أُسس النّحو وأبانوا أبوابه ومباحثه، كذلك كان دافع **الخليل** الفكري دينيا فقد شرح في كتابه العين عددا من أسماء الله الحسنى حسب موادها اللغوية ذاكرا بعض إشتقاقاتها التصريفية فقال في لفظ الجلالة الله أن الألف لا تطرح من الاسم إنّما هو الله على التمام ولا يجوز إشتقاق فعل منها كما في الرّحيم مثلا [15].

وأشرنا هنا إلى الاشتقاق الذي هو من مباحث علم التصريف لأن النحو في أوله كان يطلق على النحو والصرف معا فكان الهدف من هذه الدراسات الفهم الصحيح لمعاني القرآن الكريم وتيسير تعلمه وحفظه لغير العرب، فكانت الدراسات النحوية الأولى مرتبطة أشد الارتباط بالدين فلا نكاد نجد نحويا في تلك الحقبة ليس بمُقريء أو راوٍ للحديث، فكان القرآن دستورا لبعض المسائل النحوية والصرفية فأُلّفت الكتب في هذين العلمين وأخذا في النشوء والتطور إلى أن وصلا إلى مرحلة النضج والكمال التي ذكرناها في مبحث نشأة النحو العربي سابقا.

3.3 العامل الديني في البلاغة العربية:

كذلك الأمر بالنسبة للفكر البلاغي فبمجيء الإسلام ظهرت بواعث كثيرة تحث على الاعتناء بصياغة الكلام وإظهار المعاني والتراكيب بصور جمالية، فجاءت آيات الذكر الحكيم معجزة بلفظها ومعناها وبأساليب غير معهودة فيها من البلاغة والفصاحة مالم تعتده ألسنة العرب وسجيتهم، فدفع هذا البلاغيين إلى التدبر في كلام الله والبحث في المسائل البلاغية التي جاء بها، منهم **أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي** الذي ألف كتابا أسماه مجاز القرآن ومما جاء فيه ردّه على **إبراهيم بن إسماعيل الكاتب** الذي سأله عن قول الله تعالى:﴿**طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**﴾**[سورة الصافات. الاية. 65]**، فقال السائل كيف يشبه

الله تعالى شجرة الزقوم برؤوس الشياطين التي لم يرها أحد فرد عليه أبو عبيدة قائلا: إنّما كلّم الله تعالى العرب على قدر كلامهم وضرب له مثالا بتشبيه إمريء القيس سنان سيفه بأنياب الغول الذي لم يره أحد [16] في قول أمريء القيس:

أَيَقتُلُني وَالمَشرَفِيُّ مُضاجِعي   وَمَسنونَةٌ زُرقٌ كَأَنيابِ أَغوالِ

وكان كتاب **أبي عبيدة** أول كتاب يبحث في أسلوب القرآن الكريم، ويوازي بينه وبين كلام العرب ليوصلهم إلى أن ألفاظ القرآن الكريم، تجري على نفس النمط الذي تجري عليه ألفاظ العرب ومعانيهم، حتى وإن كان الأسلوب مختلفا وهذا بديهي لأنه قول الحق تعالى الذي تحدى به العرب الفصحاء وقد أُختلف في سبب إعجاز القرآن الكريم، فهناك من ذهب

إلى أن إعجازه يكمن في إخباره عن الإعجاز والأمور الغيبية التي ستقع مستقبلا وقد وقعت بالفعل ، وهناك من قال أن مكمن إعجازه في أمية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم والتي هي شرف له وكلامه عن القصص التي وقعت في سالف الأزمان، ويرى آخرون أن موطن إعجازه سببه عجز فصحاء العرب عن الإتيان بمثله وهناك من يرى إعجازه في محتواه من أحكام وشرائع صالحة لكل زمان ومكان وشموله لكافة الأجناس[17].

إلّا أن أغلب الباحثين وفي مقدمتهم البلاغيون رأوا أن سبب إعجازه ما فيه من بلاغة ساحرة وأسلوب فريد ووقع خاص على الأسماع وأثر بالغ في الصدور وإستحسانا في النفس فوجدوا فيه بيانا لم يعرفوه من قبل جعلهم يخروا صاغرين أمام حلاوته وطلاوته ورونقه وهذا ما دفعهم إلى البحث في أسباب جودته وحسن سبكه وإحكام ترابطه والتنقيب عن الأسباب التي جعلته يكتسب هذه المكانة من البلاغة والفصاحة والبيان، ويذكر **ابن النديم** أن من الكتب المؤلّفة في معاني القرآن كتاب **الكسائي** و **الاخفش سعيد بن مسعدة والرؤاسي** في معاني القرآن وكذلك ألف **الفراء** و **قطرب** و **المبرد** كتبا في معاني القرآن ، وكتاب الرد على من نفى المجاز في القرآن **للحسن بن جعفر الرّجى** وألف **اِبن عُيَيْنة** كتابا في جوابات القرآن وكتاب ضياء القلوب في معاني القرآن وغريبه ومشكله **للفضل بن سلمة** وألف **الزجاجي و ابن الأنباري** في معاني القرآن [18].

ألف البلاغيون كتبا في غريب القرآن منهم **أبو عبيدة** و **اِبن سلام الجمحي** و **اِبن قتيبة** و **أبو عبد الرحمن اليزيدي** أو كتاب غريب المصاحف **لإبن بكر بن الوراق** وألف آخرون في لغات القرآن منهم **الفراء** و**الأصمعي** و **ابن دريد**، كما ألفوا أيضا في القراءات فعمل كل من **ابن سعدان** و **ابن عبد القاسم** و **أبو حاتم السجستاني** و **اِبن قتيبة** و **ابن مجاهد** كتابا في القراءات كما ألفوا في المتشابه من القرآن [19]، فكان الدافع لتأليفهم في البلاغة هو القران الذي نهلوا منه واعتمدوا عليه في دراساتهم وهو ما أدى إلى تطوير البلاغة إذ أمدها الفرقان بفيض من الملاحظات البيانية التي أثرت البحث البلاغي بالوقوف على إعجاز القرآن ومعرفة نظمه وتكشّف أسراره وهذا لا يتأتى إلا بالدراية الواسعة بالبلاغة ومعرفة أسرار الفصاحة وما تستوجبه[20].

فلا يمكن تكشف أسرار بلاغة القرآن الكريم وما حباه الله به من جودة السبك وبراعة التأليف وجمال الأسلوب إلا لعالم بالبلاغة وأحوالها وهذا ما دفع إلى تعلّم البلاغة والتمكن منها فانفتح الدرس البلاغي على أبواب كثيرة اِقتبسوها من القرآن الكريم وتناولوها بالبحث والدراسة، فكان أثر الدين في البلاغة العربية بالغا أدى إلى تطور الفكر البلاغي العربي لفهم القرآن الكريم فهما صحيحا وتسهيل حفظه وإدراك معانيه والإلمام بها.

فتشرفت اللغة العربية بنزول القرآن الكريم بها وهو ما جعلها واجبا من واجبات الدين والشريعة في مسائل كثيرة منها نزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين وقد جاء بيان ذلك في كتاب الله تعالى في مواضع عديدة نذكر منها قوله تعالى: ﴿**بِلِسَانٍ**

عَرَبِيّ مُّبِين﴾ [سورة الشعراء. الاية 195]، وقوله تعالى: ﴿**كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾** [سورة الشورى. الاية7]، وقال جل في علاه ﴿**وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾** [سورة الرعد. الاية37]، وقول الحق سبحانه ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾** [سورة الزخرف. الاية 3].

فهذا تشريف للغة العربية ورفعة لمكانتها بين اللغات لأن الله تعالى خاطب البشر من فوق سبع سماوات بها، فإرتقت منزلتها وكذلك عدم قبول الشهادة في الإسلام إلا بها ولا تؤدى الفروض الواجبة علينا إلّا بها، قال الإمام **الشافعي رحمه الله** [فعلى كل مسلم ان يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ويتلو به كتاب الله وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك] [21]، ففي هذا القول بيان لأهمية تعلّم علوم العربية وضرورة الإلمام بها حتّى يتسنى لنا فهم ما جاءت به شريعتنا الإسلامية السمحة.

ويؤكّد هذا الكلام ما قول ابن تيمية رحمه الله تعالى في هذا المقام: ومعلوم أنّ تعلّم العربية وتعليم العربية فرض على الكفاية، وكان السّلف يؤدّبون أولادهم على اللّحن، فنحن مأمورون أمر إيجاب أو أمر استحباب أن نحفظ القانون العربي ونصلح الألسن المائلة عنه، فيحفظ لنا طريقة فهم الكتاب والسنة والإقتداء بالعرب في خطابها ، فلو تُرك النّاس على لحنهم كان نقصا وعيبا، فكيف إذا جاء قوم إلى الألسنة العربية المستقيمة، والأوزان القويمة فأفسدوها بمثل هذه المفردات ، نستشف من هذا القول أنّ تعلّم اللغة العربية وإتقان علومها من صوت، وصرف، ونحو، ومعجم، أصبح واجبا ولازما على كل مسلم حتّى يتمكن من فهم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وهذا ما زاد العربية رفعة ورونقا، وكان حافزا ودافعا قويا في تطوير الدّر اللغوي العربي والعناية بعلوم العربية .

4. خاتمة:

من خلال ما تقدّم ذكره نستشف أنه لا تتم معرفة معاني الكتاب والسنة إلّا بها وما لا يتم الواجب إلّا به فهو واجب يقول في هذا الرازي : [لما كان المرجع في معرفة شرعنا إلى القرآن والأخبار وهما واردان بلغة العرب ونحوهم وتصريفهم كان العلم بشرعنا موقوفا على العلم بهذه الأمور وما لا يتم الواجب المطلق إلا به فهو واجب] ،فإذا كان تعلم واجبات الدين مفروضا وجب الضرورة تعلم اللغة التي جاءت بها هذه الفروض، وقد ذهب اِبن تيمية هذا المذهب إذ يرى أن تعلم العربية من الدين ومعرفتها فرض وواجب وهذا ما دفع اللغويين إلى تطوير فكرهم اللغوي فكان الدين سببا ودافعا قويا في جل العلوم العربية من صوت وصرف ونحو وبلاغة ومعجم، لهذا يُعتبر الدين الإسلامي من منطلقات الفكر اللغوي العربي بل من أهمها وأكثرها فاعلية في الدراسات اللغوية العربية قديمها وحديثها.

6. قائمة المراجع:

القرآن الكريم.

1. ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة بيروت، لبنان،
2. ابن جني، الخصائص، ج 1، تح: الشربيني شريدة، دار الحديث، القاهرة، 1438ه/2007 م.
3. الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج 1، ط1، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، 1424ه/ 2003م.
4. سعيد الأفغاني، في أصول النحو، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، 1407ه/ 1987م.

5. السيوطي، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، ج2، شرح وضبط: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1406 هـ / 1986 م،
6. شوقي ضيف، المدارس النحوية، ط7، دار المعارف، القاهرة.
7. عبد الغفار حامد هلال، القراءات واللهجات من منظور علم الأصوات الحديث، ط2، دار الفكر العربي، مصر، 1426 هـ/ 2005 م،
8. عبد الغفار حامد هلال، القراءات واللهجات من منظور علم الأصوات الحديث، ط2، دار الفكر العربي، مصر، 1426 هـ/ 2005 م.
9. عبد القادر حسين، المختصر في تاريخ البلاغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2001.
10. محمد الشيخ عليو محمد، مناهج اللغويين في تقرير العقيدة، ط1، دار المنهاج، 1427هـ

7. هوامش البحث:

[1]-ابن جني، الخصائص، ج 1، تح: الشربيني شريدة، دار الحديث، القاهرة، 1438هـ/2007 م. ص 08.

[2]-السيوطي، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، ج2، شرح وضبط: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1406 هـ / 1986 م، ص 397.

[3]-سعيد الأفغاني، في أصول النحو، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، 1407هـ/ 1987م. ص 7.

[4]-ينظر: المصدر نفسه، ص 8.

[5]-ينظر: سعيد الأفغاني، في أصول النحو، ص 8.

[6]- ينظر: شوقي ضيف، المدارس النحوية، ط7، دار المعارف، القاهرة. ص 12.

[7]-ينظر: عبد الغفار حامد هلال، القراءات واللهجات من منظور علم الأصوات الحديث، ط2، دار الفكر العربي، مصر، 1426 هـ/ 2005 م، ص 61-62.

[8]-ينظر: الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج 1، ط1، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، 1424هـ/ 2003م. ص 03.

[9]-عبد الغفار حامد هلال، القراءات واللهجات من منظور علم الأصوات الحديث، ص 146.

[10]-ينظر: سعيد الافغاني، في اصول النحو، ص 9.

[11]-ينظر: شوقي ضيف، المدارس النحوي، ص 14.

[12]-ينظر: شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص 14.

[13]-ينظر: المصدر نفسه، ص 15.

[14]-ينظر: محمد الشيخ عليو محمد، مناهج اللغويين في تقرير العقيدة، ص 119.

[15]-ينظر: المصدر نفسه، ص 153-154.

[16]-ينظر: عبد القادر حسين، المختصر في تاريخ البلاغة، ص 19.

[17]-ينظر: عبد القادر حسين، المختصر في تاريخ البلاغة، ص 21.

[18]-ينظر: ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة بيروت، لبنان، ص 52-53.

[19]-ينظر: المصدر نفسه، ص 54.

[20]-ينظر: عبد القادر حسين، المختصر في تاريخ البلاغة، ص 23.

[21]-ينظر: محمد الشيخ عليو محمد، مناهج اللغويين في تقرير العقيدة، ص 99.